ISSN 2437-0797
المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية
Dépôt Légale 6799-2015
المجلد 02 العدد 04- ديسمبر2016
الدراسات الأثريةوالمعمارية لتلمسان خلال العهد الاستعماري "شارل بروسلار أنموذجا" ص136-151

الدراسات الأثرية و المعمارية لتلمسان خلال العهد الاستعماري "شارل بروسلار أنموذجا"

الأستاذ الدكتور/ بوشنافي محمد
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سيدي بلعباس – الجزائر

Abstract :

Charles Brosslard was a head of the Arab office in Tlemcen, in addition he showed great interest in the different monuments and inscriptions that are located in several areas of the city, and most of them belong to the Ziyanide period such as mosques , mausoleums, tombs and sites ; He carried out several excavations which allowed him to carry out historical studies, that he published them in the magazine African on nine numbers, the number of these articles was of nineteen articles.

This studies take a great interest in the historical research concerning the city of Tlemcen, and especially in the political, cultural, social and people such as

Traditionalists, marabous and intellectuals.

لم تكن الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830، عسكرية فحسب، بل امتدت إلى جوانب أخرى، فإلى جانب الأعداد الكبيرة من الجنود الذين ينتمون إلى مختلف التخصصات العسكرية، انضم إليها عدد من المترجمين والكتاب والمهتمين بالفن وكل ما يتعلق بعالم الشرق،

وضع هؤلاء الأسس الأولى للدراسات الاستشراقية بالجزائر، والتي ستعرف انتعاشا في المراحل اللاحقة من احتلال الجزائر.

ما يتفق عليه المؤرخون أن مؤسس علم الاستشراق كان سلفستر دي ساسي حتى اعتبره بعضهم "أبو الاستشراق"، وكان قد ولد في عام 1757 م، كما استطاع أن يتقن عدة لغات شرقية ، ولهذا أصبح مدرسا في مدرسة اللغات الشرقية الحية، ثم تولى إدارتها في عام 1824، كما يقال بأنه كان وراء البيان الذي وزعه قائد الحملة الفرنسية "دي بورمون" على أعيان الجزائر، إما كتابة أو إشرافا على ذلك(1).

أنتجت المدرسة الاستشراقية بالجزائر أعمالا عديدة، منها ترجمة وتحقيق عدد كبير من المصادر والمخطوطات والوثائق الأصلية، وكان لظهور المكاتب العربية دور كبير في ازدهار حركة الترجمة، بعد التمكن من جمع عدد هائل من هذه المخطوطات والوثائق ذات الصلة بالجزائر ومجتمعها، وزاد نشاطها بعد عام 1880، لما تولى هذه العملية مترجمون متخصصون تخرجوا من مدارس الآداب، وسار في هذا النهج عدد من الجزائريين الذين تكونوا في المدارس الإسلامية- الفرنسية أو الثانوية الفرنسية أو مدرسة الآداب، ولعل من أبرز هؤلاء محمد بن شنب (2).

لا يمكننا أن ننكر فضل هذه الأعمال التي أداها المستشرقون من خلال الترجمة و التحقيق ودراسة الآثار، إذ أنها استطاعت أن تحفظ لنا الكثير من التراث الثقافي والأثري الذي تمتعت به الجزائر على مر العصور، رغم أن الكثير منه ضاع لأسباب طبيعية وأخرى بشرية، وما كنا لنتعرف عليها لولا أعمال المستشرقين، غير أن هدف هؤلاء لم يكن علميا محضا، بل

كان له هدف سياسي – عسكري يرمي إلى تقديم خدمة للإدارة الاستعمارية، من خلال معرفة طبائع المجتمع الجزائري و.بالتالي تسهيل مهمة إخضاعه وتدجينه.

إن ما يهمنا في هذه الدراسة ليس كل ما أنتجه المستشرقون من دراسات، بل سنركز بشكل أساسي على الدراسات الأثرية التي خص بها هؤلاء مدينة تلمسان باعتبار ماضيها التاريخي وغناها في هذا المجال. وما يجب تبيانه أن كثيرا من المستشرقين أنجزوا دراسات أثرية ذات قيمة علمية حول الجزائر، ويمكن أن نذكر في هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر:ألبير دوفوكس وعمله حول المؤسسات الدينية بمدينة الجزائر، ودراسات بيربروجر وشيرنوبو وغيرهم.

ونظرا لضخامة الأعمال وتشعبها، اقتصر اهتمامنا على تلك الدراسة التي أنجزها شارل بروسلار(3)، والتي نشرها بالمجلة الإفريقية[(4)]، ومن خلالها استطاع أن يقدم لنا عملا كاملا عن معظم الآثار التي كانت تتوفر عليها المدينة في عهده، أي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وهذا ما أمكنه من تقديم حصر هام عن المواقع والشواهد الأثرية للمدينة، والتي ربما قد ضاع الكثير منها، أمام الأعمال المعمارية التي قامت بها السلطات الاستعمارية.

وعند تصفحنا لأعمال بروسلار، نلاحظ أنها ضخمة، نشرها في تسعة أعداد من المجلة الإفريقية، وهي على التوالي العدد 14و 15 و17 و19 و21 و22 و23 و29 و30، حيث بلغ عدد المقالات المنشورة 19 مقالا، تناول خلالها عددا من المواضيع ذات العلاقة بالجوانب الأثرية لتلمسان يمكننا أن نحصرها فيما يلي:

1- الجامع الكبير.

2- ضريح سيدي أحمد بلحسن الغماري .

3- مسجد أبي الحسن

4- مسجد أولاد الإمام.

5- ضريح سيدي محمد ابن أبي عامر.

6- ضريح سيدي محمد السنوسي و أخوه سيدي علي التالوتي.

7- المنصورة.

8- جامع و مدرسة سيدي أبا مدين (3 دراسات).

9-مسجد وضريح سيدي الحلوي (دراستان).

10- مسجد المشور.

11- ضريح الوالي سيدي بوجمعة.

12- الحي المسيحي (القيسارية).

13- مسجد سيدي زكري.

14- أضرحة عائلتي المقري و العقباني .

ما يميز عمل بروسلار أنه جمع بين الجوانب الأثرية والتاريخية، فهو إذا ما تحدث عن عالم أو ولي أو سلطان فإنه يعطينا دراسة بيوغرافية له ثم أهم ما يميز عصره ، وهذا ما نستخلصه عند حديثه عن مقام و ضريح سيدي أبا مدين، معتمدا في ذلك على مصادر عربية مترجمة مثل البستان لابن مريم و النجم الثاقب لابن صعد التلمساني وغيرها، وكذا الحال عند حديثه عن مسجد أولاد الإمام [5]، حيث يقدم لنا تعريفا مطولا لهذين العالمين و دورهما في الحياة السياسية في تلمسان معتمدا على " البستان "، أو لما يقدم لنا عائلتي المقري والعقباني .

حسب بروسلار فإن تلمسان تعتبر من أغنى مدن الجزائر من حيث الآثار معظمها بني من قبل السكان المحليين، أو ما سماهم بالأهالي، كما بين أن هذه الآثار لم تندثر كلها بل ما زال معظمها قائما(في زمانه)، وهذا ما يشجع حسبه المختصين على القيام بعمليات البحث والتنقيب، وبفضل ذلك يمكن إعادة كتابة تاريخ تلمسان اعتمادا على آثارها، غير أنه يتعرف أن ذلك ليس غايته من هذا "العمل المتواضع "، فهو كما يؤكد يهدف إلى التعريف بهذه الكتابات والشواهد التي تمكن من الحصول عليها سواءفي المساجد أوالمقابر أوتلك التي كانت تحت الحطام،ووضعت كلها في متحف المدينة(6).

كما يبين بأنه لا يعيد كتابة النصوص الأثرية ثم يترجمها إلى الفرنسية فحسب، ولكنه يعتمد بشكل أساسي على التاريخ، هادفا من وراء ذلك إلى رفع الغموض على كثير من هذه الشواهد والكتابات، من خلال تحديد تاريخ أو التأكد منه، أو التعريف بشخصية ورد ذكرها في هذه الكتابات، أو شرح حادثة تاريخية. فهو يعتمد مثلا على ترجمة كتاب تاريخ البربر لابن خلدون والتي أنجزها البارون دي سلان(7)، أما إذا واجهته حادثة غامضة لا يجد لها ذكرا في المصادر، يرجع إلى الرواية الشفوية بالاعتماد على ما حفظته ذاكرة السكان، وبفضل ذلك استطاع أن يفسر كثيرا من الأحداث، حيث يذكر بأنه " لولاها لكان عملنا ناقصا "(8)، كما أنه اعتمد على مساعدة بعض مثقفي المدينة، فلما تعسر عليه فك رموز إحدى الكتابات الموجودة عند مدخل المنصورة استعان بشخص يدعى خوجة سي حمو، الذي عرفه بأنه من أبرز مثقفي المدينة(9).

بفضل هذه التقنية استطاع بروسلار أن يصحح كثيرا من الأخطاء التي كانت متداولة في تلمسان ومن ذلك مثلا أن الذاكرة الشعبية لسكانها كانت متفقة حول فكرة أن قبر الولي

سيدي بن زكري ليس موجودا في مقبرة المدينة،كما يقول، ولكنه استطاع أن يصحح هذا الخطأ الذي بقي متداولا لعشرات السنين، فبعد أعمال الصيانة والتنظيف التي بادرت بها الإدارة الاستعمارية داخل المقبرة الإسلامية، تم العثور على قبر هذا الولي، فيذكر أنه تم إعادة ترميمه، وقد دعم صحة رأيه بشاهد القبر الذي وجد هناك ، وكان مكتوبا بخط أندلسي وما يزال في حالة جيدة، علوه خمسة وخمسين سنتمترا وعرضه أربعين سنتمترا به ستة سطور، ومما ورد فيه (10):

"هذا قبر الشيخ الفقيه الإمام العالم المتفنن السيد أبي العباس أحمد بن محمد بن زكري المغراوي توفي رحمه الله أوايل صفر عام تسعماية"

ودائما فيما يخص هذا الولي، فإنه أثبت خطأ آخر تداولته المصادر، حسب ذكره، اعتمادا على الشاهد، ألا وهو تاريخ وفاته، فالمصادر تتفق على أن ذلك كان في عام 910 ه، حسب ما يذكر دائما، غير أن الكتابة الواردة في شاهد القبر تبين أنه توفي في عام 900ه /1494م ، كما بين أن أصل هذا الولي يعود إلى قبيلة مغراوة و هذا ما لم تتداوله المصادر، كما يقول(11).

ربما من سوء حظ تلمسان أنه تداولت على حكمها دول عديدة ، مما ولد صراعات سياسية، جعلت الغالب يسعى جاهدا إلى محو كل انجازات سابقيه، ومن ذلك مثلا تعرض الكثير من الكتابات والنصب إلى الطمس والتخريب المتعمد، ويقدم لنا بروسلار نموذجيين في هذا الإطار:

-الأول عبارة عن كتابة موجودة عند مقام سيدي الحلوي ،كتبت بخط أندلسي ، ويوجد فيها فراغين حيث كتبت بهذا الشكل:

"الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان.....ابن مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان أبي .. عثمان ابن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيد الله نصره عام أربعة وخمسين وسبعماية"

فحسبه أن عملية طمس الاسمين تمت بشكل متعمد، حيث تم تخريب اسم السلطان الذي أمر ببناء الجامع ولقب جده، كما بين بأن الفاعل استعمل آلة حادة لارتكاب فعله، غير أنه ولحسن الحظ أن إعادة إبراز الاسمين لم تكن صعبة من خلال ترميم هذه القطعة الأثرية، كما تم التأكد من ذلك بعد اكتشاف قطعة أثرية أخرى ورد فيها اسم السلطان الذي تعرض للحذف في القطعة السابقة الذكر(12).

ونفس العمل تعرضت له كتابة وجدت في قبة المحراب بالجامع الكبير، فيذكر بأنه لاحظ عبارة مكتوبة بخط أندلسي جميل تؤرخ لبناء هذا الجامع، غير أن اسم صاحب المشروع تعرض للحذف بشكل متعمد بآلة حادة، وحسبه فإن حكام الدولة التي تلت عهد هذا الأمير، حاولوا جاهدين طمس كل مظاهر الانجازات التي تحققت قبلهم، ولكن محاولتهم باءت بفشل بعدما نسوا محو التاريخ الذي يحدد فترة الانجاز، ونسجل العبارة كما يلي :

"بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسلما هذا ما أمر بعمله الأمير الأجل ....أيد الله أمره وأعز نصره وأدام دولته، وكان إتمامه على يد الفقيه الأجل

القاضي....أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي أدام الله عزهم فتم في شهر جمادى الآخرة عام ثلاثين وخمسماية ".

وبهذا أمكن معرفة صاحب الفضل في بناء هذا الجامع، لأن التاريخ نجا من هذا العمل "البربري"، كما يقول، فبالرجوع إلى المصادر التاريخية تأكد بأن تاريخ جمادى الآخرة 530ه/أبريل 1136م، يصادف حكم الموحدين لتلمسان، حيث حكمها آنذاك علي بن يوسف بن تاشفين، وبالتالي أمكنه أن يحدد اسم الشخص الذي أشرف على بناء هذا الجامع[13] .

يخصص بروسلار في عمله هذا حيزا للحديث عن تلك الترميمات التي أقيمت على كثير من المواقع قبل مجيء الفرنسيين، وخاصة خلال العهد العثماني، معتمدا في ذلك على النصب التذكارية التي تخلد تلك الأعمال، غير أنه يبين أن ذلك أضر بهذه المعالم أكثر مما ساهم في إصلاحها، حيث أفقدها، حسبه، رونقها وجمالها لأنها كانت أعمالا لا ترتكز على أي أساس علمي متقن، ومن أمثلة ذلك ما قام به الباي محمد الكبير[14] لما كلف مهندسا تركيا بترميم الباب الرئيسي لمدخل ضريح سيدي أبا مدين الذي تعرض لحريق أدى إلى إتلافه، فبين بأن هذا المهندس لم ينجز أي عمل فني متقن مما تسبب في تضييع هذا المعلم لجزء من نسقه وجماله [15] .

كما ذكر أن العثمانيين في أواخر عهدهم قاموا بترميمات أخرى على جامع سيدي الحلوي إلا أنها لم تحترم كذلك المعالم الفنية لذلك الجامع، فهي حسبه "أعمال بربرية"، خاصة

لما قام البناءون بتغطية الأقواس بطبقة سميكة من الجبس، وبذلك اختفت تلك النقوش الرائعة .[16]

ربما كان بروسلار من موقفه هذا مما قام به العثمانيون يظهر نفس الموقف الذي تبناه الاحتلال تجاههم، فيرى بأنهم السبب الرئيسي في معاناة معالم تلمسان وما لحقها من تدمير وطمس وضياع، فهؤلاء بعد دخولهم إلى المدينة سببوا الخراب والدمار، متناسيا ما سببه الاستعمار لكل الجزائر من معاناة وتدمير.

وإذا كان هذا موقفه من العثمانيين وسياستهم داخل المدينة، فإننا نجده يغير من موقفه تجاه ما قام به الاستعمار بتلمسان، بل ويرى أن الفرنسيين كان لهم فضل كبير في الحفاظ على الكثير من هذه الآثار والمعالم ولولاهم لضاعت ولم يعثر لها على أثر، وحسبه فإن ذلك كان من خلال عمليات التنقيب والبحث التي تمت في كثير من المواقع والتي كللت بالنجاح بعد اكتشاف كميات كبيرة من البقايا الأثرية. لقد كان يشرف بنفسه على كثير من هذه العمليات، ففي الجامع الكبير تم اكتشاف قطعة أثرية بعد أعمال تنقيب كانت قد حجبت بطبقة سميكة من الجبس، وكان ذلك ناتج عن الإهمال وعدم معرفة السكان للقيمة العلمية التي يكتسبها هذا المعلم ، ولكن حب الاكتشاف لديه دفعه إلى محاولة إعادتها إلى النور، حيث تم رفع ما التصق بها من جير ثم نظفت بعناية فائقة، وبعد قراءة هذه اللوحة استطاع أن يكتشف مفاجئة كبيرة للإدارة الفرنسية والسكان، كما يذكر، فحسب هذه القطعة فإن من قام ببناء مكتبة الجامع الكبير كان السلطان أبا حمو، حيث ورد فيها:[17]

"أمر بعمل هذه الخزانة المباركة مولانا السلطان أبو حمو ابن الأمراء الراشدين أيد الله أمره و أعز نصره ونفعه كما وصل ونوى وجعله من أهل التقوى و كان الفراغ من عملها في يوم الخميس ثالث عشر لذي قعدة عام ستين وسبعماية " أي 7 أكتوبر 1359م.

كما يعطينا بروسلار نماذج لأعمال التنقيب التي قامت بها الإدارة الاستعمارية في بعض المواقع الأثرية وما تم اكتشافه بها من آثار وقيمتها العلمية ويمكننا أن نبين هذه الأعمال فيما يلي:

1-عملية تنقيب وحفر في المكان الذي يتواجد فيه مسجد ومدرسة أبناء الإمام، في غرب المدينة عند باب الكشول، والذي أصبح اسمه باب فاس بعد الاحتلال، وهناك أشرف بنفسه على العملية التي توجت بالعثور على قطعتين من الرخام كتبت عليها عبارات، فكانت القطعة الأولى في حالة جيدة أما الثانية فوجدت مكسورة بشكل طولي، وقد تضمنتا عددا من الأوقاف التي أوقفت على زاوية ومسجد ومدرسة أبناء الإمام [(18)].

2- العثور على عمود من الرخام علوه مترين وثمانية وعشرون سنتمترا بقلعة المشور، ذي طراز فني رائع، حيث زين بأشكال من الورود، كما وجد في أعلاه لوحة علوها ثمانية وثلاثين سنتمترا وعرضها ثمانية وعشرين سنتمترا، تضمنت كتابة عدد سطورها ستة عشرة سطرا، خطها أندلسي، أما مضمونها فكان وقفا أوقفه شخص يدعى يحي ابن عبد الله على جامع المشور في عام 967ه /1567-1568 م[(19)].

3- تنظيف وترميم داخل مسجد سيدي الحلوي، وخاصة الأعمدة الثمانية التي يرتكز عليها السقف، وبعد رفع طبقات الجبس المتراكمة فوق بعضها البعض، وجدت عند

الأعمدة التي تسند المحراب كتابة ذات حجم صغير بخط مغربي تبرز اسم الشخص الذي أشرف على عملية البناء، فكانت العبارة كالتالي:(20)

"صنعها أحمد بن محمد اللمطي في شهر يامن من سنة دمز"، (أي ذو القعدة عام 747ه).

4- القيام بعمليات حفر وتنقيب على شواهد القبور بمقبرة القاضي، والتي توجد على يسار الطريق المؤدية إلى مقام سيدي بومدين ، والتي أصبحت مهجورة منذ زمن بعيد مما أدى إلى طمس الشواهد ونمو الأعشاب الضارة بها، وحسبه فإن السكان كانوا يجهلون تاريخ هذه المقبرة، ولا متى تمت فيها آخر عملية دفن. وبعد البحث والتنقيب والاطلاع على معظم الشواهد تم التوصل إلى أن معظم الذين دفنوا فيها ينتمون إلى عائلتي المقري والعقباني، كما تم التأكد بأن آخر عملية دفن تمت منذ قرن من الزمن، أي في منتصف القرن الثامن عشر.

ويذكر بأنه جمع واحدا وأربعين شاهدا وضعت في متحف المدينة تعود إلى قبور لأفراد من العائلتين، ومما شد انتباهه وجود أربعة شواهد قبور لأفراد من عائلة العقباني توفي أصحابها في عام واحد، في عام 964ه/1556م، و لم يفصل بينهم إلا ثلاثة أشهر، ففسر ذلك بأنهم كانوا ضحية لوباء الطاعون الذي اجتاح المدينة في تلك السنة ونتج عنه هلاك عدد كبير من السكان، وقد توصل إلى هذه النتيجة بعد اطلاعه على ما جاء في كتاب البستان لما ترجم صاحبه للشيخ سيدي محمد بن الحاج أمزيان، إذ يذكر بأنه توفي في عام 964ه/1556م بعد إصابته بالطاعون(21).

أما عند حديثه عن الأضرحة الموجودة في العباد فبين بأن الذين دفنوا هناك كانوا من العائلات المرموقة في تلمسان، ولكنه لم يعثر على شواهد تستدعي الاهتمام، لأن هؤلاء الذين دفنوا هناك لم يكن لهم دور بارز في الحياة العامة بتلمسان، ولا يذكر إلا قبرا واحدا يعود إلى المسمى محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن الولي الصالح السيد الجيلاني بن يحي الحسني، وسبب ذكره أنه من عائلة تلمسانية معروفة كما جمعته به صداقة. وكان هذا الشخص قد قتل على الطريق المؤدية إلى وهران في ليلة 11الى 12سبتمبر1856، والشيء الملفت للانتباه أنه لم يدفن هناك إلا بعد الحصول على إذن رسمي من السلطات الاستعمارية[(22)].

5– القيام بحفريات داخل قلعة المنصورة، أين تم العثور على بقايا أثرية تشمل قطعا من الرخام وأعمدة وضعت في متحف تلمسان وأرسلت أخرى إلى الجزائر العاصمة وباريس. لكن أهم عملية تنقيب بالمنصورة تمت في المكان الذي كان يعتقد بأنه كان إقامة للسلطان المريني، حيث حفرت أنفاق بعمق ثلاثة أمتار أدت إلى اكتشاف كميات هائلة من القطع الرخامية والفخار والبلاط ، غير أن عمليات التنقيب اعترضتها، حسبه، مشاكل بسبب نقص الغلاف المالي المخصص للعملية و لهذا يترجى السلطات أن تقدم مزيدا من الدعم لإتمامها [(23)].

ومن القضايا التي يثيرها شارل بروسلار في بحثه الأثري حول تلمسان، قضية الأحباس الموقوفة على هذه المؤسسات الدينية والثقافية، خاصة وأن السلطات الاستعمارية حاولت منذ دخولها إلى الجزائر القيام بعملية جرد وإحصاء لها ثم ضمها إلى الأملاك العامة للدولة، ومن خلال عمله هذا نجده يقدم خدمة للإدارة الاستعمارية، رغم تأكيده أن هذه الأوقاف بقيت على حالها و لم تتعرض إلى أي انتهاك، وأن الأموال الناتجة عنها تصرف كلها على المؤسسات الموقوفة عليها [(24)]، غير أن التاريخ يثبت العكس فما قامت فرنسا أنها انتهكت حرمة هذه

الأوقاف وضمتها إلى الأملاك [25]العمومية، كما يقدم لنا نماذج من هذه الأوقاف اعتمادا على الكتابات الأثرية، و منها ما يلي:

1- أوقاف مسجدي سيدي السنوسي، حيث يذكر أنه وجد بتلمسان مسجدين مخصصين لهذا الولي الصالح، الأول عند مدخل درب المسوفة والثاني في حي بن جميلة، وبهذين المسجدين عثر على ثلاث كتابات، كتابتين بمسجد درب المسوفة وثالثة بمسجد حي بن جميلة، وهي تتضمن قائمة بالأملاك الموقوفة على المسجدين والتي اشتملت على ست بيوت وثلاثة عشرة حانوتا وخمسة بساتين وخمسة وخمسون ساقية، أي ما قدره خمسمائة وسبعون هكتارا- ربما هناك مبالغة- وهو ما يشكل حسبه مائة ألف فرنك، وكلها مخصصة كما يذكر للاعتناء بهذين المسجدين [26].

2-العثور على كتابة بموقع مسجد المشور، كتبت بخط أندلسي عدد سطورها ستة عشرة سطرا تتضمن وقفا أوقفه على المسجد أحد أغنياء تلمسان يدعى يحي بن عبد الله، و يشتمل على دينار ونصف دينار ذهبا في كل عام ناتجة عن ثمن كراء دكان للحياكة في الطابق الأول بفندق أوندوري، مقابل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عقب كل صلاة، وكان ذلك في عام 976ه/1567-1568 [27].

3- وجود كتابة بمسجد أبي الحسن على يمين المحراب علوها مترا وعرضها خمسة وخمسون سنتمترا، تبين اسم الشخص الذي بنى هذا المسجد وهو الأمير أبو عامر إبراهيم بن السلطان يغمراسن ابن زيان في عام 696ه/1296-1297، كما تتضمن قيمة الوقف الذي اشتمل على عشرين حانوتا ودارين، الأولى لسكنى الإمام والثانية للمؤذن [28].

4– العثور على نقش بمسجد سيدي زكري على يسار باب الدخول، يتشكل من أربعة وعشرين سطرا مكتوب بخط مغربي ركيك يتضمن حصرا للأملاك الموقوفة على هذا المسجد [29].

5– العثور على قطعة من الرخام بمسجد سيدي بوجمعة على يمين باب المدخل، تعرضت للضياع جزئيا، عبارة عن وقف أوقفه المدعو محمد على هذا المسجد في عام 1016ه/1607م، يشتمل على نصف بستان يقع بالمكان المسمى رحات الريح– أي مطحنة الهواء– [30].

كما نجد بروسلار يتحدث في هذه الدراسة عما أحدثته السلطات الاستعمارية على هذه المواقع الأثرية من تغييرات، بتحويلها عن مهامها الأساسية خدمة لمصالحها، فحولت المسجد الموجود بقلعة المشور إلى مخزن تابع للمستشفى العسكري،ونتج عن ذلك تعرضه إلى كثير من الدمار بالتالي يرى أن لا فائدة ترجى من البحث بداخله على آثار ذات قيمة [31]، كما نجده يلح في أحيان أخرى إلى ضرورة الحفاظ على هذه الآثار وصيانتها من الضياع، إلى أننا لا نجد أسبابا حقيقية تدفعه إلى رفع هذه الدعوة باعتبار أنه يمثل الإدارة الاستعمارية المشرفة على هذه المواقع الأثرية.

وكتقييم، يمكننا أن نجزم بأن ما قام به بروسلار كان ذات فائدة كبيرة بالنسبة للتأريخ لآثار و مواقع تلمسان، بغض النظر عن أهدافه وغاياته من انجاز هذه الدراسة، وكذلك ما احتوته من أخطاء تاريخية في بعض الأحيان، وإذا كانت معظم هذه الآثار قد تعرضت للضياع و التهديم من قبل سلطات الاحتلال، فإنه على الأقل أمكننا أن نتعرف على ما كانت

تزخر به تلمسان من مؤسسات دينية وثقافية، من خلال ما خلفته هذه الدراسات من وصف علمي دقيق لها، واعتمادا عليها يمكننا أن نعيد رسم خريطة لمواقع هذه المساجد والمقابر والأضرحة وغيرها التي وجدت بالمدينة خلال فترات تاريخية متعاقبة، إضافة إلى إعادة كتابة تاريخ المدينة الأثري، إلا أن ذلك يتطلب عملا جماعيا شاقا حتى يكون ذا فائدة بالنسبة لتاريخنا الوطني.

الإحالات

[1]- سعد الله أبو القسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ،الجزء السادس، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 2005، ص ص9 -10.

[2] - نفسه، ص 85.

[3] - تولى شؤون المكتب العربي بتلمسان.

[4] - قامت بنشرها الجمعية التاريخية الجزائرية التي تأسست في 7افريل 1856 بالعاصمة، بمبادرة من الحاكم العام "راندون"، أول عدد ظهر في أكتوبر 1856، تواصل صدورها بشكل منتظم إلى غاية 1962 ماعدا خلال الحرب العالمية الأولى .

[5]- ابنا الإمام هما الإمام أبو زيد عبد الرحمن (ت743ه) وأخوه أبو موسى عيسى (ت749ه) ، وتكريما لهما بني لهما السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول مدرسة و دارين بجانبها لسكنهما و مساكن للطلبة ،انظر : ابن مريم المليتي التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ،البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان (تقديم طالب عبد الرحمن)، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1986، ص ص 123-127.

[6]- Brosslard (CH) " LES inscriptions arabes de Tlemcen". R.AF 14, Decembre1858, p 85.

7 - البارون دي سلان: ولد في مدينة بيلفاست بايرلندا يوم 12 أوت 1801، ثم انتقل إلى باريس في عام 1830، اهتم بعلم الترجمة، فساهم في نشر عدد كبير من المؤلفات العربية مثل ديوان امرؤ القيس وأجزاء من كتاب الأغاني ووفيات الأعيان و رحلة ابن بطوطة، انظر: سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص ص70-71.

8- Brosslard (CH) ." LES inscriptions… ", op.cit, n°14, Decembre1858, p 85.

9- op.cit, n°17, juin1859, p 335.

10- Brosslard (CH), op.cit , R.A.29, 1861, pp 334-335 .

11- عند رجوعنا إلى كتاب البستان وجدناه يحدد تاريخ وفاته بعام 900ه و ليس 910ه كما يذكر، وقبره موجود بتلمسان في روضة الشيخ السنوسي، انظر: - ابن مريم المليتي التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ، عبد الرحمن)، المصدر السابق، ص41.

12- Brosslard (CH)." LES inscriptions… ". RA, n°29, pp 336.

13- Ibid, n°23, Aout 1860, pp 322-323.

14- Brosslard (CH) ." LES inscriptions… " . RA, n°14, Décembre 1858, p 86-87.

15- تولى شؤون بايليك الغرب ما بين عامي 1779-1796،اتخذ من معسكر عاصمة له قام بعدة إصلاحات في شتى المجالات، حرر وهران نهائيا من الأسبان في عام 1792. انظر: ابن سحنون أحمد محمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني (تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي) ، منشورات وزارة التعليم الأصلي ، سلسلة التراث ، قسنطينة ، 1973.

16- RA, n°19 Octobre 1859, p 87.

17- RA, n°21, Février 1860, p 323.

18- RA, n°14, Décembre 1858, p 32.

19- RA, n°15, Février 1859, pp 169-171.

20- RA ,n°22 Mais 1860 , pp.240-242.

21- RA, n°21 Février 1860, pp 323-324.

22- RA, n°30 Novembre 1861, pp 401-402.

23- RA, n°19 Octobre 1859, pp 91-93.

24- RA , n°21 Février 1860, p 326.

25- RA ,n°29, 1861, p. 334.

26- Ibid, pp 330-334.

27- RA, n°22 Mais 1860, p 242 .

28- RA, n° 15 Février 1859, pp 162-163.

29- RA, n°25 1861,pp 170-171.

30- RA, n°22. Mais 1860, pp 256-257.

31 - Ibid, pp 245-246.